لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾
الواقعة:٥٦و٧٥و٧٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواقعة:٥٦:٧٥-٨٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

I (have no need to) **swear by the** (huge distances of) **stars locations** (as we don't see except the past event in the universe, and can't see the present one due to the limited speed of light and the huge distances)**.** **Indeed; that is a great testimony** (reflecting the greatness of that huge universal distances) **if you know.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

(١) برهان على الوحي:

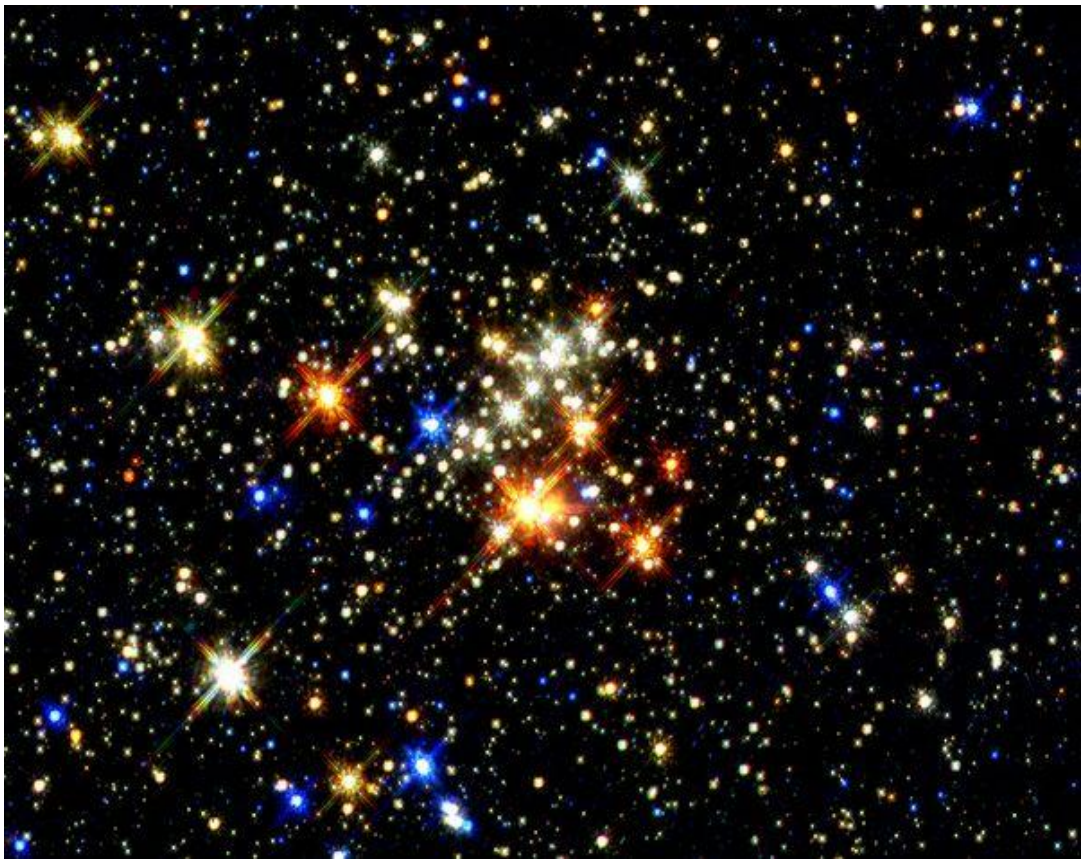

في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)؛ نفي للقسم، وهو أسلوب في التعبير يدل على تأكيد وصف المقسوم به؛ وكأنه تعالى يقول إن الوصف أكيد بحيث لا يحتاج إلى قسم، والمقسوم به هو عظمة الأبعاد المُعبر عنها بالمواقع، والسائد منذ القدم وحتى القرن السابع عشر أن كل النجوم ثوابت على بعد قريب وأفق واحد سموه أفق الثوابت، فجاء لفظ (مَوَاقِع) دالاً بصيغته على الجمع أنها آفاق، وجاء تأكيد القسم دالاً على أن أبعادها عظيمة، وأكد التصريح بعظمتها النبأ: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، ويتفق العُدول على أن عودة القسم إلى (مَوَاقِع) لا (النُّجُوم)؛ يتفق مع كونها مُتحركة غير ثوابت، بحيث لا يُرى إلا مواقعها التي كانت عندها عند صدور ضوئها واحتياجه لمهلة لسرعته المُقدرة، والوصف يتعلق بالمسافات الكونية الهائلة حيث ينتظم الفضاء إلى طرائق يجري فيها كل نجم في فلك يقطعه في مُدة مُقدرة؛ بينما وصفت الكواكب بالقرب في أدنى سماء؛ أي الأقرب من الناس: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦، ويتفق هذا التمييز تمامًا مع ما عُرف من أن الكواكب توابع للشمس، وأن النجوم تحتشد في عناقيد تميز الفضاء لآفاق.

(٢) التفصيل الدلالي:

قال تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، وفي هاتين الآيتين الكريمتين يقسم ربنا تبارك وتعالي بمواقع النجوم، ويأتي جواب القسم: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ فالمعنى إذن أن موضوع القسم آية باهرة على الوحي بالقرآن الكريم بدليل تكشفه الأيام، ومن الأساليب البلاغية في الكتاب الكريم إدخال (لا) النافية على فعل القسم للمبالغة في توكيده؛ كأنه تعالى يقول: لا حاجة للقسم فالأمر أكيد، بمعني أنه لا يُقسم بالشيء إلا تعظيماً لشأنه كآية على العلم والقدرة، ومواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها عبر السماء وهي محتفظة بعلاقاتها المحددة بغيرها من الأجرام في كل مجرة، وبسرعات جريها، وبالأبعاد الفاصلة بينها، وبقوى الجاذبية الرابطة بينها، واللفظة (مواقع) جمع (موقع)، والمسافات بين النجوم مُذهلة للغاية لضخامة أبعادها، وحركات النجوم عديدة وخاطفة، وكل ذلك منوط بالجاذبية، وهي قوة لا تُري، تحكم الكتل الهائلة للنجوم، والمسافات الشاسعة التي تفصل بينها، والحركات المتعددة التي تصنعها؛ من دوران حول محاورها وجري في مداراتها المتعددة، وغير ذلك من العوامل التي لم نعلم منها بعد إلا القليل.

وهذا القَسم القرآني بمواقع النجوم؛ يشير إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق علم الفلك الحديث التي تقول أنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل بين آفاق وحشود النجوم في الكون وبعدها عن أرضنا؛ فإن الإنسان على هذه الأرض لا يري ذات النجوم أبدا، ولكنه يري مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية؛ وليست مطلقة، وليس هذا فقط؛ بل إن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت أن نجومًا قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة؛ لكن الضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن، كما أنه نظراً لانحناء الضوء في صفحة الكون كما كشفت البحوث العلمية حديثا حتى شاع وصف الكون بالانحناء؛ فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، ومن هنا كانت القيمة البالغة لهذا القسم القرآني المُذهل بمواقع النجوم؛ وليس بالنجوم ذاتها.

(٢) أبعاد فلكية مهُولة:

أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الشمس وهو كوكب عطارد يبعد عنها بحوالي٥٨ مليون كيلو متر، وأبعدها عن الشمس وهو كوكب بلوتو يبعد عنها بحوالي ستة آلاف مليون كيلومتر، وإذا خرجنا عن نطاق المجموعة الشمسية فان هذه المقاييس الأرضية لا تفي بقياس المسافات الشاسعة التي تفصل بقية النجوم عنا، فاتفق العلماء على وحدة قياس كونية تعرف باسم السنة الضوئية، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة من سنينا بسرعته المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، وهي مسافة مهولة تقدر بحوالي ٩,٥ مليون مليون كيلو متر، واقرب النجوم السماوية إلينا بعد الشمس هو نجم قنطورس القريب أو الأقرب القنطوري Alpha Centauri، وهو يبعد عنا حوالي ٤,٣ سنة ضوئية، بينما يبعد عنا النجم القطبي بحوالي٤٠٠ سنة ضوئية، ومنكب الجوزاء ١٦٠٠ سنة ضوئية، وأبعد ما تم رصده بالتلسكوبات الراديوية يسمى أشباه النجوم Quasars على أبعاد تزيد عن ١٠ بليون سنة ضوئية، إنها أبعاد تفوق الخيال، فسبحان القائل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥و٧٦.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} فيه وجهان؛ أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته، قال الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه، الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيمًا من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته، فعلى هذا في قوله: {فَلاَ أُقْسِمُ} وجهان؛ أحدهما: أن (لا) صلة زائدة، ومعناه: أقسم، الثاني: أن قوله: {فَلاَ} راجع إلى ما تقدم ذكره، ومعناه: فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة، ثم استأنف كلامه فقال: {أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}. وفيها ستة أقاويل؛ أحدها: أنها مطالعها ومساقطها؛ قاله مجاهد، الثاني: انتشارها يوم القيامة وإنكدارها؛ قاله الحسن، الثالث: أن مواقع النجوم السماء؛ قاله ابن جريج، الرابع: أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا؛ قاله الضحاك، ويكون قوله: {فلا أقسم} مُستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها، الخامس: أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فَنَجَّمَهُ السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث في أمته؛ قاله ابن عباس والسدي، السادس: أن مواقع النجوم هو مُحكم القرآن؛ حكاه الفراء عن ابن مسعود، {وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} فيه قولان، أحدهما: أن القرآن قَسَم عظيم؛ قاله ابن عباس، الثاني: أن الشرك بآياته جرم عظيم؛ قاله ابن عباس والضحاك، ويُحتمل ثالثاً: أن ما أقسم الله به عظيم"[٣].

وفي تفسير مجمع البحوث: "{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}: لما ذكر الله سبحانه في الآيات السابقة جزاء كل من السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وما يلقونه من نعيم تتفاوت درجاته وتتباين منازله حسب مقام كل من الطائعين، وما يناله ويعانيه أهل الشقاء وأصحاب الشمال من عذاب مقيم فيه شدة عليهم وإيلام بهم جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا من كفر وعصيان ونكران ليوم يبعث الله فيه عباده للحساب، لما ذكر ذلك جاء قوله تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} وما بعده من الآيات للتأكيد على أن القرآن الكريم الذي ذكرت فيه تلك الأمور هو من عند الله جل شأنه وفي قوله تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ} حلف وقسم بناء على أن (لا) جاءت في النظم الكريم لتأكيد القسم وتقويته، نظير ذلك قوله تعالى : {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} أي: ليعلم أهل الكتاب، ويتلاقى مع هذا الرأي قراءة الحسن {فَلأُقْسِمُ}، نقول: هذا ما يقتضيه سياق الآيات وما عليه جمهور المفسرين، وذهب بعضهم إلى أن (لاَ) نفى وردّ لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة، كأنه قيل: لا صحة لما يقولون في القرآن الكريم من هذا الافتراء ثم قيل: (أقسم)؛ وهذا منسوب إلى سعيد بن جبير وبعض النحاة، ومواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، وخصها جلت قدرته بالقسم لما في غروبها من ذهاب أثرها، وذلك للدلالة على وجود حكيم دائم لا يتغير؛ يؤثر فيها ظهورا وخفاءً، وقد استدل الخليل إبراهيم عليه السلام بأُفول الكوكب وغروب القمر وذهاب الشمس؛ على وجود الصانع الذي لا يغيب ولا تأخذه سنة ولا نوم، أو أقسم سبحانه بها في هذا الوقت لأنه أوان قيام المتهجدين وانقطاع المتبتلين إليه تعالى ونزول رحمته وفيض رضوانه عليهم، وقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، والنزول كناية عن القرب والعناية، وقال جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما: النجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها، فإن القرآن نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا في السنين بعد، {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم جليل، لو تعلمون قدره ومكانته لعظمتم المقسم عليه وهو القرآن الكريم، {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} أي: إن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمَّد صلى الله عليه وسلم حسن مرضي، رفيع القدر في جنسه بين الكتب المنزلة من عند الله، كثير المنافع، أو كريم على الله أو على المؤمنين؛ لأنه كلام ربهم وشفاءُ صدورهم، وقيل: كريم لما فيه من كريم"[٤].

---

[٣] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (٥ ٤٦٢).

[٤] مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م (١٩ ١٢٦٦).

Scientific Field الحَقْل العِلمِي

Astronomy

علم الفلك

Subject المَوْضُوع

Stars Distances

أبعاد النجوم

Related Texts نُصُوص مُتَعَلِّقَة

- **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٥٦الواقعة:٧٥-٨٠.**
- **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦،**